

التمهيد

١ - المقصود بالعمليات الاستشهادية في الماضي وصورتها الجديدة في الحاضر: المقصود بالعمليات الاستشهادية عموماً: تلك الأعمال الجهادية التي يُقدم عليها فاعلها طلباً للشهادة ورغبة فيها.

وطلب الشهادة والسعي من أجلها أمر مشروع دلّت عليه الأحاديث الصحيحة والصريحة، وقد أفرد الإمام البخاري باباً جعل عنوانه: (باب تمنيّ الشهادة). وذكر فيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «والذي نفسي بيده لولا أن رجلاً من المؤمنين لا تطيب أنفسهم أن يتخلّفوا عني ولا أجد ما أحملهم عليه ما تخلّفت عن سرية تغزو في سبيل الله، والذي نفسي بيده لو ددت أني أقتل في سبيل الله ثم أحيأ فأقتل ثم أحيأ فأقتل»^(١). وقد أخذ ابن حجر العسقلاني رحمه الله من الحديث أن تمنيّ الشهادة والقصد إليها مرغّبٌ فيه ومطلوب، وذكر أن في الباب أحاديث أخرى صحيحة منها ما روي عن أنس مرفوعاً: (من طلب الشهادة صادقاً أعطيا ولو لم تصبه) أي أعطي ثوابها ولو لم يقتل، وهذا الحديث رواه مسلم^(٢).

- وأما العمليات الاستشهادية التي نحن بصدد بحثها لبيان حكم الشرع فيها فهي صورة جديدة لمقاومة العدو ومواجهته سمحت بها الوسائل القتالية الحديثة التي لم تكن معروفة من قبل، وتتمثل هذه العمليات بأن يملأ المجاهد حقيبته أو سيارته بالمواد المتفجرة أو يلف نفسه بحزام ناسف، مليء بالمواد المتفجرة، ثم يقتحم على العدو مكان تجمعهم أو يشاركهم الركوب في وسيلة نقل كبيرة، حافلة (باص) أو طائرة أو قطار ونحو ذلك، أو يتظاهر بالاستسلام لهم حتى إذا كان في جمع منهم ورأى الفرصة مواتية فجرّ ما يحمله من المواد المتفجرة بنفسه وبمن حوله، مما يؤدي إلى قتل وجرح وتدمير في أشخاص العدو وآلاته، وحتماً سيكون منفذ العملية من بين القتلى، وذلك لأنه غالباً ما يكون الأقرب إلى المادة المتفجرة، وهذه العمليات هي الأشد والأفضل من حيث إيقاع النكايّة بالأعداء وإدخال الرعب في قلوبهم، وبالنسبة لليهود فإنها توقع مزيداً من الخلاف بينهم، وتكون سبباً في رحيل بعض القادمين من يهود العالم للإقامة في فلسطين، ومنع أو - كحد أدنى - تقليل أعداد اليهود الذين يوافقون على القدوم إلى فلسطين للإقامة فيها، وذلك

عندما يسمعون أنباء هذه العمليات، وقد كان لهذا النوع من العمليات الأثر الأول في إخراج اليهود من لبنان^(٣)، بعد أن اغتصب أكثره سنة ١٩٨٢ من قبل كياناتهم المصنوع على أرض فلسطين، حيث قامت المقاومة اللبنانية بعدد من العمليات، شعر اليهود من خلالها أن بقاء جنودهم في لبنان يعرضهم لخطر القتل بعمليات المقاومة التي كان كثير منها من هذا النوع وهم الذين قال فيهم الحق سبحانه: {وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِ} (البقرة: ٩٦)، مما اضطرهم إلى الخروج من أكثر لبنان.

وهذا النوع من العمليات، نفذه الشباب المسلم المجاهد في السودان في وجه الغزاة الصليبيين وعملائهم المتمردين، فردوا بها على أعقابهم خاسئين. ونفذه المجاهدون في الصومال ضد الغزاة الأمريكيين ومن معهم من جيوش العدوان -والذين ما جاؤوا رحمة بالصومال وشعبه - فأخرجوهم صاغرين. ونفذته وتنفذه الحركات الإسلامية المجاهدة في فلسطين ولبنان، وبخاصة حركة المقاومة الإسلامية (حماس)، وحركة الجهاد الإسلامي وحزب الله ضد اليهود الغتصبيين، فساموهم بها سوء العذاب وحطموا أسطورة الجيش الذي لا يقهر، وأدخلوا الرعب في قلوب الغاصبين، وينفذه المسلمون المجاهدون في الفلبين ضد الحكم الشيوعي الظالم.

والآن وبعد بيان صورة هذه العمليات نأتي إلى النقطة الثانية من التمهيد.

٢- ما يترتب على العمليات الاستشهادية بصورتها الحديثة من آثار:
أ- ما يترتب عليها من مصالح:

١- لقد ثبت أن هذه العمليات هي الأكثر نكاية باليهود الغتصبيين، والأصح في إدخال الرعب في قلوبهم، فقد نزعنا الأمن من صفوفهم حتى في شوارعهم ووسائل نقلهم الداخلية والخارجية وأماكن تجمعاتهم وفي ثكناتهم العسكرية، حتى صار اليهودي في فلسطين يخاف من كل شيء، من يهودي لا يعرفه، أو ورقة تطير في الهواء، أو لعبة طفل تلقى في شارع.

٢- أنها الأضمن نجاحاً والأقل وإخفاً بين الوسائل التي استخدمها المقاومون لليهود، حيث لا يظهر القائم بها أي نوع من السلاح وإنما يبدو بمظهر راكب عادي أو جندي من جنودهم، أما ما عدا ذلك من الاقتحامات والكمائن فإنها تواجه أحياناً بأسلحة حديثة ونحوها، وإذا طالت المواجهة قد يؤتى لليهود بالعون والمدد، وقد

تستخدم الطائرات، أما في هذه العمليات فإنه لا مجال للعدو في المواجهة، فالأمر لا يزيد على ضغطة على مفتاح أو زر دون أن يشعر أحد بما حصل إلا عند سماع الانفجار وتناثر أشلاء الأعداء.

٣- أن هذه الأنواع من العمليات تؤدي إلى شيء من مواجهة اليهود بالمثل في قتلهم المسلمين، فقد كان المسلمون يُقتلون ويقتلون، فصاروا بذلك (يقتلون ويقتلون).

٤- أن المقاومة بشكل عام، وهذا النوع من العمليات بشكل خاص، جعل اليهود يحسبون ألف حساب قبل القيام بأية مجزرة أو عملية إبادة ضد مدني الشعب الفلسطيني - الذي كله مدنيون - حيث أصبحت هذه العمليات هي الرد الذي يتوقعه اليهود على كل مجزرة يرتكبونها ضد العزل والمدنيين^(٤).

٥- أن القائم بهذه العمليات - إذا كان عمله خالصاً لله عز وجل، قاصداً نكابة بالأعداء وإعلاء لكلمة الله سبحانه وتعالى، وتوهيناً للمعتدين وإضعافاً لهم، وإدخالاً للسرور وإعادة للعزيمة إلى قلوب المسلمين، وتجرئة لهم على عدوهم، وقدم نفسه على هذا الوجه فإنه يكون بإذن الله عز وجل - قد أدرك مواقع الشهداء، وفاز بمكانة مرموقة ومقام محمود في عليين.

٦- أنها تبعث في الأمة روح حبّ الجهاد والاستشهاد، الأمر الذي يخشاه الأعداء ويحرصون كل الحرص على عدم ظهوره في هذه الأمة من جديد.

فهي تبعث في نفوس المجاهدين حمية فداء دينهم وأمتهم اقتداء بإخوانهم الاستشهاديين ومنافسة لهم، ومزاحمة على المراتب العلى في جنات النعيم التي تنتظر الشهداء. وتبعث في نفوس المتأخرين عن ركب الجهاد من المسلمين حبّ الجهاد مما يدفع كثيراً من الشباب إلى الانخراط في صفوف المجاهدين والعاملين على إحياء هذه الأمة وخلاصها.

٧- أنها تدفع كثيراً من غير المسلمين في العالم للتعرف على عقيدة الإسلام التي يضحى حملتها بأعلى ما يملكون في سبيل الحفاظ عليها، وأنها سبب في تعرف كثير من الناس على حقيقة القضية التي يحملها الاستشهاديون على حقيقتها لا وفقاً لما تبثه كثير من وسائل الإعلام المضللة.

ب- ما يظهر أنه مفسدة أو ما أشكل في أذهان بعض الناس حول هذه العمليات من الناحية الشرعية:

أشكل في أذهان بعض الناس حول هذه العمليات من الناحية الشرعية أمران:
الأمر الأول:

أن القائم بها يُقتل بيد نفسه لا بيد عدوه، مما يجعل هذه العمليات تشبه الانتحار.

الأمر الثاني:

أنه قد يقتل بها من الأعداء بعض من لا يجوز قصده بالقتل في الإسلام -المدنيون - مثل الأطفال والنساء.. الخ، الأمر الذي يجعلها مخالفة لأحكام الشرع من حيث عدم التزام قوانين القتال في الإسلام.

أمثلة على فعالية العمليات الاستشهادية:

١- العملية: تدمير مقر الحاكمية العسكرية في صور.

* التاريخ: ١١/١١/١٩٨٢.

* النتائج: انهيار مبنى الحاكمية المؤلف من ثمانية طوابق وتدميره بشكل كامل، وهو يضم: مكتب الحاكم العسكري ومساعديه وقيادة الشرطة العسكرية وحرس الحدود وقيادة سلاح الإشارة وقيادة سلاح الهندسة وقيادة قوات المظليين وقوات (غولاني) الخاصة ذات التدريب الفائق.

* الخسائر البشرية: ٤٠٠ قتيل منهم أكثر من عشرين ضابطاً.

* آثار العملية: إرباك هائل وتخطيم معنويات المحتلين وزعزعة استقرارهم

الأمني.

* سبق العملية: تعنت وغطرسة صهيونية لا مثيل لهما، وإطلاق النار على المعتقلين في معسكر أنصار قبل أربعة أيام بعد اجتياح الكيان الصهيوني جنوب لبنان.

٢- العملية: تدمير السفارة الأمريكية في بيروت.

* التاريخ: ١٨ نيسان ١٩٨٣.

* النتائج: تفجير مبنى السفارة المكون من ثمانية طوابق ومجزرة لعناصر

المخابرات الأمريكية.

* الخسائر البشرية: ٥٧ قتيلاً، ١٠٠ جريح، ومن القتل الخبير الأول بالشؤون

الفلسطينية واللبنانية في المخابرات الأمريكية، وقتل معه معاونوه الثلاثة.

* آثار العملية: حرق بعض أوراق الضغط الأمريكي، وإرباك أمني.

* سبق العملية: ضغوط أمريكية سياسية في المنطقة، والسكوت عن مجازر

صبرا وشاتيلا قبل سبعة أشهر.

٣- العملية: تدمير مقر قيادة القوات الأمريكية (المارينز) في بيروت.

* التاريخ: ٢٣/١٠/١٩٨٣.

* النتائج: انهيار المبنى بشكل كامل (أربعة طوابق).

* الخسائر البشرية: ٢١٩ قتيلاً من أفضل القوات تدريباً، ٧٥ جريحاً، أكثر من عشرين مفقوداً.

* آثار العملية: ذهول. انسحاب القوات الأمريكية من لبنان وكف يدها، رفع معنويات المقاومة.

* سبق العملية: قصف القوات السورية في تلال بيروت ومحاولة السيطرة العسكرية على لبنان.

٤- العملية: تدمير مقر قيادة القوات الفرنسية في بيروت.

* التاريخ: ٢٣/١٠/١٩٨٣.

* النتائج: الدمار التام للمبنى المؤلف من تسعة طوابق.

* الخسائر البشرية: ٧٤ قتيلاً من القوات الفرنسية، جرح ١٦ جندياً، ١١ مفقوداً.

* آثار العملية: ذهول، انسحاب القوات الفرنسية من لبنان وكف يدها، رفع معنويات المقاومة.

* سبق العملية: قصف جوي لمواقع سورية، ومحاولة بسط سيطرة عسكرية.

٥- العملية: تفجير السوق التجاري في القدس الغربية (من معازل حركة كاخ

الإرهابية الصهيونية) بتاريخ ٣١/٧/١٩٩٧.

* النتائج: تناثر أشلاء الصهاينة على الشرفات وأسلاك الهاتف، أضرار بالغة لحقت بـ (٦٠) محلاً.

* آثار العملية: إحباط جهود الطوق الأمني الصهيوني، ونكسة لأجهزة الاستخبارات الصهيونية، رعب وذعر شديداً في أوساط المتطرفين الصهاينة، ورفع معنويات الشعب الفلسطيني.

* الخسائر البشرية: ١٣ قتيلاً وأكثر من ١٦٠ جريحاً.

* سبق العملية: إنذار من حركة حماس لإطلاق سراح بعض المساجين، تبجح الكيان الصهيوني ورئيس وزرائه (نتنياهو) بأنه أوقف أعمال المقاومة وحقق الأمن لليهود المغتصبين.

٦- عمليات الردّ على اغتيال (يحيى عياش) وذلك في شهري شباط وآذار من عام ١٩٩٦ (خمس عمليات خلال أقل من عشرين يوماً).

* النتائج: قتل أكثر من ٦٠ صهيونياً معتدياً ومئات الجرحى وأضرار مادية.

* سبق العملية: اغتيال المهندس (يحيى عياش) قائد كتائب عز الدين القسام، وقبله الدكتور (فتحي الشقاقي) أمين عام حركة الجهاد الإسلامي، ضرب البنى التحتية لحركتي حماس والجهاد الإسلامي.

* آثار العملية: دخول الرعب في قلوب اليهود المغتصبين، إطلاق سراح الدكتور (موسى أبو مرزوق) رئيس المكتب السياسي السابق لحماس من سجون أمريكا بعد أن رفض الكيان الصهيوني استلامه، وعلل (نتنياهو) ذلك بأنه يخشى إن استلمه وقوع أعمال انتحارية (أي استشهادية) كالتى وقعت بعد اغتيال الشهيد (يحيى عياش)، المطالبة داخل الكيان الصهيوني بإطلاق سراح الشيخ المجاهد أحمد ياسين، وذلك خوفاً من آثار موته في السجن.

٧- العمليات الاستشهادية التي نفذها المجاهدون في السودان، ضد الجيوش الصليبية الغازية الأوغندية والأثيوبية والعملاء المتمردين على السلطة.

* سبق هذه العملية: هجمة شرسة من القوات الأوغندية والأثيوبية والعملاء المتمردين مدعومة من الولايات المتحدة الأمريكية وبعض دول الغرب بقصد احتلال أرض السودان وتقيسها إلى دويلات.. وقد تمكن المهاجمون من اغتصاب بعض المدن والمناطق والاستيلاء عليها.

* النتائج: دحر القوات الغازية وهزيمتها وتكبيدها خسائر كبيرة جداً في الأرواح والمعدات العسكرية، حيث كان الشباب المجاهد يملؤون أجسادهم بالمتفجرات ويجابهون بها الدبابات الغازية، الأمر الذي أدى إلى انسحابها من المناطق التي استولت عليها، واستسلام كثير من المتمردين وخضوع الباقين للتفاوض بعد أن كانوا له رافضين.

هذه بعض الأمثلة على نتائج العمليات الاستشهادية وهناك أمثلة أخرى كثيرة لا مجال لحصرها.

الهوامش

- (١) انظر صحيح البخاري مع فتح الباري: ٩٣/٦، كتاب الجهاد والسير حديث رقم (٢٧٩٧).
- (٢) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإمارة، باب استحباب طلب الشهادة في سبيل الله تعالى، حديث رقم (١٩٠٩)، وانظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري: ٩٤/٦.
- (٣) العمليات الاستشهادية، صور ووثائق المقاومة اللبنانية، ص ٩٧.
- (٤) كما حصل في الحرم الإبراهيمي حيث اعتدى يهودي حاقد اسمه (باروخ غولد شتاين) وأزره الجنود في الحرم بالرشاشات والقنابل على المصلين في الحرم الإبراهيمي الشريف، وذلك في صلاة فجر يوم الجمعة ١٥ رمضان سنة ١٤١٤هـ، مما أدى إلى استشهاد أكثر من خمسة وثلاثين مصلياً وجرح أعداد كبيرة، وقد رد المجاهدون على هذه المجزرة بخمس عمليات استشهادية وعدوا الشعب بها وتوعدوا اليهود عند وقوع المجزرة، وقد نفذوها فعلاً، وكان منها أربع على هذه الصورة.